كيف أنشأ رسول اللّه مؤسسات الدولة الإسلامية ؟ (2)

نشر بتاريخ 30 إبريل 2021

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

نواصل ما انقطع من حديث حول المؤسسات والتنظيمات التي أقامها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم تمهيداً لقيام الدولة الإسلامية.

تعيين الولاة والقادة برواتب ثابتة: من التنظيمات الإدارية المهمة التي ابتدأ بها إنشاء الدولة هو تعيين العمال في الولايات والمدن والقبائل المختلفة لتعليم الناس أحكام القرآن والتفقه في الدين وإقامة الصلاة وجباية أموال الزكاة لإنفاقها على مستحقيها والقضاء بين الناس. فمثلاً عين عتّاب بن أسيد واليًا على مكة بعد فتحها سنة ثمانٍ للهجرة وهو دون العشرين من العمر وفرض له راتبًا شهريًا قدره ثلاثون درهما، فكان ذلك أول راتب خصص للعمال والولاة، كما ولى الرسول صلى اللّه عليه وسلم الحارث بن نوفل الهاشمي بعض أعمال مكة، وعيّن أبا بكر الصديق بعد غزوة حنين.

وكان للنبي أمراء ولاّهم المدينة عند خروجه منها ومنهم السائب بن عثمان الذي أمره عليها عند خروجه إلى غزوة (بواط) في السنة الثانية للهجرة، كما

أناب سعد بن عبادة عندما غزا (ودان)، وأناب الإمام علي بن أبي طالب عندما غزا (تبوك).

السفراء والكتّاب والمراسلات: وكأي حاكم اتخذ كتّابًا للمراسلات التي كانت تدور بينه وبين الملوك والحكام المجاورين، فقد كان عبد اللّه بن الأرقم يجيب على الملوك والرسل، وكان له كاتب للعهود هو علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه، كما كان له صاحب سر هو حذيفة بن اليمان، واتخذ قائمًا على خاتمه وتسمي المصادر الحارث بن عوف المري، كما تذكر أيضًا أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم كان يضع على خاتمه الربيع بن صيفي ابن أخي أكثم.

واتخذ صلى اللّه عليه وسلم من يقوم على المداينات، وكان له ترجمان بالفارسية والقبطية والرومية هو زيد بن ثابت، وقيل: إنه كان يترجم أيضًا من الحبشية والعبرية.

بالإضافة إلى أنه عيّن السفراء، فقد بعث الرسول صلى اللّه عليه وسلم رسله وسفراءه إلى الملوك، فأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس، وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر، وبعث سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي، وبعث عبد اللّه بن حذافة السهمي إلى كسرى، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي.

مجلس الشورى: لم تكن الشورى خياراً في الدولة الإسلامية قط، وإنما كانت أمراً يجب أن يمتثل به القائد، وذلك مصداقاً لقوله تعالى في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها في سورة آل عمران – الآية 159 «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ»، ومن الملاحظ أن هذه الآية تدل دلالة قوية على وجوب الشورى، فمن جهة أنها نزلت عقب هزيمة المسلمين يوم أحد، وفي ظروف يتضح منها أن رأي من أشار على النبي صلى اللّه عليه وسلم لم يكن صواباً، ومع ذلك فقد أنزل اللّه سبحانه وتعالى أمره بالعفو عنهم ومشاورتهم، وهذا يؤيد عناية الإسلام بالشورى.

وفي موضع آخر وفي سورة الشورى – الآيات 36 إلى 38 فقد ربط اللّه سبحانه وتعالى بين ذكر الشورى كصفة من صفات عباده وبين ركنيْن أساسيَّين من أركان الإسلام، هما: الصَّلاة، والزَّكاة، وهذا يدلُّ على أهميَّة الشورى، وأنَّها واجبةُ التنفيذ مثل الصَّلاة والزكاة إذ قال تعالى «فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ *وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ *وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ».

كما دعا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في العديد من الأحاديث النبوية إلى اتخاذ الشورى منهجًا للحياة والحكم، من ذلك:

عن أبي هُريرة رضي اللّه عنه قال: «ما رأيتُ أحدًا قطُّ كان أكثرَ مشورةً لأصحابه من رسول اللّه صلَّى اللّه عليه وسلَّم»؛ رواه الشافعي.

وعن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه قال: سئل رسول اللّه صلَّى اللّه عليْه وسلَّم عن العزْم، قال: «مشاورة أهل الرأي، ثم اتّباعهم»؛ رواه ابن مردويه.

ولم يكتف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالحث على الشورى، وإنما هو صلى اللّه عليه وسلم اتخذ هذا المنهج في الكثير من أمور حياته، فتذكر كتب السيرة أنه استشار الصحابة في أسرى غزوة بدر، وفي الخروج لغزوة أحد، وفي العديد من المواضع التي سوف يأتي ذكرها لاحقًا.

وعلى الرغم من البساطة التي تتسم بها الإدارة الإسلامية في عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، إلا أنها وضعت للمجتمع والدولة الإسلامية نواة التنظيم الإداري الذي سار عليه الخلفاء الراشدون الذين أضافوا إلى هذا التنظيم ما وجدوه ضروريًا من أجل خدمة مصالح الأمة الإسلامية.